لسان الفتى نصف ونصف فواده فلم يبق الا صورة اللحم والدم
وكالذي حكي عن ابي يوسف الفقيه ان رجلاً كان يجلس اليه فيطيل
الصمت فقال له ابو يوسف الا تسال فقال بلى متى يفطر الصايم فقال
اذا غربت الشمس قال فان لم تغرب الشمس الى نصف الليل فتبسم ابو
يوسف وتمثل بقول الخطفي جد جرير

عجبت لازرا الغبي بنفسه وصمت الذي قد كان بالصمت اعلما
وفي الصمت ستر للغبي وانما صحيفة لب المرء ان يتكلما

قال اقضى القضاه رحمه الله تعالى كنت يوما في مجلسي بالبصره وانا
مقبل على تدريس اصحابي اذ دخل شيخ مسن قد ناهز الثمانين او جاوزها
فقال لي قصدتك بمسلة اخترتك لها فقلت سل عافاك الله وظننته
يسال عن حادث نزل به فقال اخبرني عن نجم ابليس ونجم ادم ما هما فان
هذين لعظم شانهما لا يسال عنهما الا علما الدين فعجبت وعجب من في مجلسي
عن سواله وبدر اليه قوم منهم بالانكار والاستخفاف فكففتهم وقلت
هذا لا يقنع مع ما ظهر من حاله الا بجواب مثله فاقبلت عليه وقلت
يا هذا ان المنجمين يزعمون ان نجوم الناس لا تعرف الا بمعرفة مواليدهم فان
ظفرت بمن يعرف ذلك فسله فقال جزاك الله خيرا ثم انصرف مسرورا
فلما كان بعد ايام عاد وقال ما وجدت الى وقتي هذا من يعرف مولد هذين
فانظر الى هولا كيف ابان الكلام عن جهلهم واعرب السوال عن نقصهم
اذ لم يكن لهم داع يدعوا اليه ولا رويه فيما تكلموا به ولو صدر عن رويه
او دعا اليه داع لسلموا من شينه وبريوا من عيبه ولذلك قال النبي
صلى الله عليه وسلم لسان العاقل من وراء قلبه فاذا اراد الكلام رجع
الى قلبه فان كان له تكلم وان كان عليه امسك وقلب الجاهل من وراء
لسانه يتكلم بكل ما عرض له وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه
من لم يعد كلامه من عمله كثرت خطاياه وقال بعض الحكما عقل المرء مخبو
تحت لسانه وقال بعض البلغا احبس لسانك قبل ان يطيل حبسك او

يتلف نفسك

١١٣

يتلف نفسك فلا شي اولى بطول حبس من لسان يقصر عن الصواب
ويسرع الى الجواب وقال ابو تمام الطائي

ومما كانت الحكما قالت لسان المرء من تبع الفواد

وكان بعض العلما يحسم الرخصه في الكلام ويقول اذا جالست الجهال
فانصت لهم واذا جالست العلما فانصت لهم فان في انصاتك عن الجهال
زيادة في الحلم وفي انصاتك للعلما زيادة في العلم واما الشرط الثاني
وهو ان ياتي الكلام في موضعه فلان الكلام في غير حينه لا يقع موقع
الانتفاع به وما لا ينتفع به من الكلام فقد تقدم القول فيه بانه هذيان
وهجر فان قدم ما يقتضي التاخير كان عجلة وخرقا وان اخر ما يقتضي
التقديم كان توانيا وعجزا لان لكل مقام مقالا وفي كل وقت انفصالا وقد
قال الشاعر يضع الحديث على مواضعه وكلامه من بعده نزر
واما الشرط الثالث وهو ان يقتصر منه على قدر حاجته فلان الكلام
ان لم ينحصر بالحاجة ولم يتقدر بالكفاية لم يكن لحده غاية ولا لقدره نهاية
وما لم يكن من الكلام محصورا كان اما حصرا ان قصر او هذرا ان كثر وروي
ان اعرابيا تكلم عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وطول فقال النبي
صلى الله عليه وسلم كم دون لسانك من حجاب قال شفتاي واسناني
قال فان الله عز وجل يكره الانبعاق في الكلام فنضر الله وجه امرى
اوجز في كلامه واقتصر على حاجته وحكي ان بعض الحكما راى رجلا يكثر
الكلام ويقل السكوت فقال ان الله تعالى انما خلق لك اذنين ولسانا واحدا
ليكون ما يسمعه ضعف ما يتكلم به وقال بعض الحكما من كثر كلامه كثر اثامه
وقال ابن مسعود رضي الله تعالى عنه احذركم فضول المنطق وقال
بعض البلغا كلام المرء بيان فضله وترجمان عقله فاقصره على الجميل واقتصر
منه على القليل واياك وما يسخط سلطانك او يوحش اخوانك فمن اسخط
سلطانه تعرض للمنية ومن اوحش اخوانه تبرا من الحرية وقال
بعض الشعرا في معنى ذلك

Copyright © King Saud University